

ملاحم التجديد

في

الهدوء السعوي



بقلم الدكتور . محمد عبد الرحمن الشاميخ

لقد كانت جزيرة العرب موطناً لذلك الأدب العربي العريق الذى ظل أدباء العربية طوال عصورهم يتمثلون تقاليده، ويستوحون إبداعه وعبقريته . ولكن إسهام هذه الجزيرة في الحياة الأدبية للامة العربية الإسلامية قد أخذ يقل ويتضاءل منذ ان اتسعت رقعة الدولة العربية في اواخر القرن الثانى للهجرة ، حيث تعددت حواضر العالم الاسلامى ، ونشأت بيئات ادبية جديدة . ومهما يكن الامر فانه ليس بمستبعد ان تعود هذه الجزيرة الى سابق عهدها، فتسهم إسهاماً ادبياً مبدعاً، ولا سيما انها قد أخذت الآن بإسباب العلم والعصارة . كان شأن الإبداع في هذه البلاد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كشأن معاصريهم في البلاد لعربية الاخرى من حيث اتباع التقاليد الأدبية التى استقرت في عصور الضعف الانبى . ولكن نشأة الصحافة وتأسيس المدارس الحديثة في أوائل القرن العشرين قد مهدا الطريق لظهور حياة أدبية جديدة . فلم يأت عام ١٩٢٥ الا وقد صار الادباء الناشئون في البلاد السعودية ينتجون أدبا يشهد قوالب الادب الحديث ويجرب أشكاله الجديدة .

وستكون الصفحات التالية عبارة عن دراسة موجزة لملامح التجهيد في الادب السعودى الحديث . وإشارة الى أبرز اتجاهاته الفكرية وسماته الفنية .

### في النثر الادبى :

كانت المقالة أول الأنواع النثرية التى شغف بها الكتاب السعوديون بعد توحيد أجزاء المملكة السعودية في أواخر العقد الثالث من هذا القرن . ولقد كان جو الهدوء والاستقرار السياسى الذى تمتعت به هذه البلاد حينئذ من أهم الأسباب التى أتمشت المقالة الصحفية وجعلتها ذات موضوعات متعددة وأساليب متنوعة . فقد أحلى كتاب النثر التقليدى مكانهم للجيل الجديد من الادباء الذين بشر محمد حسن عواد بمقدمهم حين سجل استجابته للحركة الأدبية العربية الجديدة التى قام بها من قبل كتاب مصر والمهجر ، وحاول تطبيق المفاهيم النقدية الحديثة على الادب في بلاده . (١) وحيث أن هذا الجيل من الادباء قد نشأ نشأته الاولى - أبان الحرب العالمية الاولى

- في جو حفل بالجدل والغصام الصحنى ، فقد تبين أنهم ورثوا شيئا من هذه الروح عندما قاموا بدعوتهم الى التجديد الادبى، والاصلاح الاجتماعى .

وحيث ان كتاب المقالة الناشئين قد اعتقدوا بان في مجتمعهم رسالة تشبه رسالة الرواد والمصلحين ، فقد انصرفوا الى ميدان الادب السدى اعتبروا العمل فيه من اهم عوامل البناء الاجتماعى (٢) ، ولذلك اصبح الانتاج الادبى الذى كان قليلا من قبل غصبا وفيرا خلال العقدين الثالث والرابع من هذا القرن .

لقد اعتبر هؤلاء الكتاب حركتهم الادبية الجديدة معركة فكرية ، ولذلك وجدوا في المقالة النقدية سلاحا ماضيا امامهم في هجومهم على المفاهيم الادبية والاجتماعية التقليدية . وكان تقدمهم شيئا ينقد معاصريهم من رواد الادب الحديث في مصر والمهجر من حيث انه كان نقدا لاذعا وهجوما شخصيا . ولكن الفرق بينهما هو ان الكتاب السعوديين نزلوا ميدان معركة كاد يخلو من القصور المعاريين ، ذلك لان الادباء التقليديين في هذه البلاد تذرعووا بالعلم والصبر ، ولم يصدوا هذا الهجوم .

ورغم قصر المدة التى خاض فيها الكتاب الناشئون معركة النقدية ضد الادباء التقليديين ، الا ان المقالة النقدية ظلت مزدهرة في الادب السعودى . ذلك لان الكتاب الناشئين افرموا بتوجيه اللوم والنقد الى ما كان ينشره زملاؤهم من انتاج ادبى . فشققوا بالنصوصات الادبية التى لم ينشأ معظمها لاختلاف في وجهة النظر الادبية . بل بسبب الاغراض الشخصية والزعماء الذاتية (٣) .

ولكن هذه الغوضى الادبية ما لبثت ان هدأت حين بدأ محل محلها - منذ اوامر الثلاثينات من هذا القرن - اتجاه نقدى موضوعى على ايدى كتاب اصابوا خطا من النضج الفكرى والقدرة الادبية مثل حمزة شعاعه (٤) وحسين سرهان (٥) . وقد اتسم هذا النوع من النقد بالرصانة والهدوء ، واتصف بالاسلوب المنطقى والتفكير المبدع . فلم يكن اداة هجوم بل كان وسيلة لتقويم الآثار الادبية ، وتبيان خصائصها الفنية ، ومناقضتها الجمالية .

وإذا كان الكتاب قد شغلوا في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية بالمقالة النقدية ، فليس معنى ذلك أنهم أهملوا حينئذ المقالات الأدبية الأخرى . فقد عالجوا المقالة الذاتية الأدبية والمقالة الاجتماعية ، وظهر في هذين المجالين كتاب بلغوا في الإجازة والإحالة قدرا يضمنهم في صف أعلام المقالة في البلاد العربية الأخرى . ومن هؤلاء الكتاب - علي صيبل المثال - حسين مريحان وأحمد السباعي ومحمد حسن عواد وحمد الجابر وأحمد عبد الغفور عطار وعبد القدوس الانتصاري وعزيز ضياء .

أما الأدب القصصي فقد تأخر ظهوره في الأدب السعودي . حيث لم تأت المحاولة الأولى في ميدان الفن القصصي الحديث إلا عام ١٩٣٠ . وذلك حينما أصدر عبد القدوس الانتصاري روايته القصيرة « التوأمين » . وقد شهدت السنوات الخمس عشرة التالية ظهور رواية قصيرة أخرى هي قصة « الانتقام الطيبي » لمحمد نور الجوهري . وصدر عدد كبير من القصص القصيرة . ولذلك فإني ما أسهم به الكتاب السعوديون في مجال القصة القصيرة من حيث الكم ما اتجهوا في ميدان الرواية خلال الفترة التي انتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية . وربما كان يعود ذلك إلى ما لقيه فن القصة القصيرة من تشجيع ورعاية في ظل الصحافة ولا سيما جريدة صوت المبحار ومجلة المثل .

ولعل أبرز سمات القصة القصيرة التي انتجت قبيل الحرب العالمية الثانية هو أن عنصر المضمون قد لقي من اهتمام الكتاب أكثر مما لقيه الأسلوب القصصي والبناء الفني . فقد كانت لهذه القصص مقلات تحاول إيضاحها ، أو آراء تريد إثباتها والدفاع عنها . وإذا كان هناك من خلاف فيما بينها فإنما هو في الطريقة الفنية التي عولج بها الموضوع القصصي . فقد جانب التوفيق بعض الكتاب الذين لم يحدقوا الأسلوب القصصي . ولكن عددا آخر من الكتاب مثل محمد علي مغربي ومحمد أمين يحيى ومحمد عالم الافتائي وأحمد رضا حوحو قد أصابوا شيئا من النجاح في قصصهم التي نشروها حينئذ في مجلة المثل .

وفي الحقيقة أن ما أسهم به كتاب القصة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية لا يقارن من حيث الكم والكيف بما أنتجه زملاؤهم

المقالين . فلم يزد ما أنتج في ميدان الرواية حينئذ من روايتين قصيرتين استمتتا بالصيغة التهديبية التعليمية . أما القصص القصيرة نسا كانت قليلة العدد . ولكن معظمها كان شبيها بهاتين الروائيتين من حيث كونها تهذيبية في عرضها . تجريبية في طبيعتها . كما أنها كانت عبارة عن مختصرات روائية أبرزت في شكل قصص قصيرة . ورغم هذا فإن عددا من هذه القصص القصيرة قد اتسم بشيء من النضج من حيث الرؤية الفنية وطريقة المعالجة القصصية .

وقد تميزت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بزيادة الانتاج الادبي . فقد استمر كتاب المقالة في نشاطهم . وأصدر كتاب القصة عددا من الروايات والقصص القصيرة . أما في مجال المقالة الادبية فقد ظل اعلام الرميل الاول مثل حسين برحان وحمره سحابة ومحمد حسن حواد وحيد الجابر وعبد القدوس الانصاري وأحمد السباعي وأحمد عيسى الفلور عطار ومحمد حسين زيدان وعزيز ضياء مثقلين لرسالتهم الادبية . كما برز حينئذ عدد آخر من المقاليين الذين حققوا فن المقالة الادبية . وتميزوا بأصالة الفكر مثل عبد الله عريف وعبد الكريم الجهيمان وعبد العزيز الرفاعي وعبدالله بن عيسى وسعد البواردي وغازي القصبي . وقد ظهر الى جانب هؤلاء الكتاب عدد كبير من كتاب الشباب الذين التفتت أساليبهم بالحدادة والميل الى التجديد . ولكن انصرافهم الى العمل الصحفي وانشغالهم بالمقالات الصحفية جعل الاجادة في فن المقالة الادبية من نصيب كتاب الجيل الاول .

وقد شهدت السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية أيضا من الادب القصص . حيث نشر عدد من الروايات والقصص القصيرة . ولعل أبرز كتاب القصة في هذه الفترة هما المرحوم حامد دهنوري والاستاذ ابراهيم الناصر اللذان استطاعا أن يجعلا الرواية السودية أشد اتصالا بالواقع . وأكثر صدقا في تصوير البيئة . كما أنها اعتنت حين رسم الشخصيات الروائية بإبراز الانفعالات النفسية . وتصور المواقف الانسانية . (٦)

### في الشعر

ثلث الألوان الشعرية التي تستوحى ثقاليده الشعر العربي في عصوره الاولى وفي عصور ضعف الدولة العربية مسيطرة على شعر الجزيرة

العربية في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن (٧) ، ولكن حيث أن هذه البلاد بدأت في مطلع القرن العشرين تأخذ بوسائل الحياة الثقافية الجديدة ، فإنه لم يمض الربع الأول من القرن العشرين إلا وقد بدت دهوة التجديد في الشعر السعودي قوية واضحة .

وإذا كان انتاج الادباء السعوديين في ميدان الفن القصصي أقل من حيث المستوى من آثار زملائهم في بعض البيئات العربية الأخرى ، فإن انتاجهم الشعري لم يكن أقل أصالة وإبداعاً من شعر البلاد العربية الأخرى .

لقد ظهر في هذه البلاد مشعرات من الشعراء ، ولعل من أبرزهم حمزة شحاته ومحمد حسن فقي وحسين مراحان وحسن عبد الله القرشي وتامر يوحسيد وغازي القصبي ومحمد العامر الرميح . ولكل واحد من هؤلاء الشعراء مناه وطريقته في الإبداع الشعري ، فقد حفل شعر حمزة شحاته بالاصالة الفكرية ، ولكن شيئاً من آثار أسلوبه المثالي قد يتسلل إلى بعض قصائده (٨) - أما محمد حسن فقي - الذي اتخذ الشعر أداة للتعبير عن مشاعره المرفعة ووجداته المذهب - فقد استلهم في قصائده الفكرة التأملية المتشائمة بالروح الانسانية القلقة ، فأنشأ شعره بحثاً لفن الشاعر العربي المتأمل أبي العلاء المبري ، وأسهم بما في ذلك النوع من الأدب الانساني المعاصر الذي يتأمل في مصير الانسان فيصم به روح القلق ، ويصطبغ بنفحة التشاؤم - ولكن هذا النغم الحزين الذي استمرأه الشاعر محمد حسن فقي قد جعل شعره يقع أحياناً في الايفال العاملي ، والتكرار المنوي (٩) .

وإذا استأثرت الروح التأملية الحزينة بأكثر ما نظمه محمد حسن فقي ، فقد ظلت همومه الانسانية متجددة لا تنقضي ، وأصيب بالقلق ازاء الواقع البشري الاليم ، وأعدت نفسه تفرق في أسواقها الصوفية وحسينها الى المثل الأعلى .

قال في قصيدته « الساري والليل » :

يا ليل ما تجدي الشكاة .. اذا قسوت فكنت صغرا  
هذا الظلام متى يذوب .. وقد تكاثف واسبطرا  
أظل أبيض فيه عسري .. سام هذا العمر عمرا  
لم ألق نجما يهتديني السرى أو ألق يدرا

أفهل أرى الروض الاتيق غدا وانشق منه عطرا  
 وأرى الغدير وقد تدفق والفصون تميل سكرى  
 وأرى البلائل تسكب الالمان في الأرواح خمر  
 وأرى الرفاق الفر بعد النأي والزمن الأخر  
 ويقول لي الليل الرهيب .. وقد تبدى النور فقرا  
 لم أكن في السفر سقر الليل ما انك سطر  
 أرى به كالطيف ينشد في الغياي السود قبرا  
 ويرى الحياة وقد دعت فما يطيق الميش خمر

### ★ ★ ★

صبرتني الأيام حتى ما تطيق اليوم خمر  
 وحدثت لاحسا نعمت به .. ولا استثمرت فخر  
 بأليل اني قد الفتك دون هذا الناس طرا  
 ما عدت أخشى من خباياك الفواجع وهي تترى  
 أنا قطعة منها حدثت وصبرت أصق منك غورا  
 وأنا الذي نوري سيفر هذه الأفاق خمر  
 فأتير للأجيال حاضرها ومقبلها الخمر  
 ولرب عصفور يعود بقسوة الأيام نمر  
 ولرب مرهوب يعود بكرة الأيام ذكرى  
 أثرت رقما فاستحال الرقم في كفى صفرا  
 يا ربحه هلا استحال نجاحه في الكف تبرا  
 نسي المواجد من رأى في أهلها نسا وصبرا (١٠)

ومن الشعراء السعوديين المبرزين الذين اتخذوا الشعر أداة للتعبير عن  
 تجاربهم الخاصة ، وتصوير مواقفهم الحياتية الشاعر حسين سرحان .  
 ورغم أن ديوانه قد حفل بالقصائد التي تتسم بالروح المرحية واللمعات  
 الساخرة ، إلا أن شعره لم يخل من لحظات تأملية رجع فيها إلى نفسه ، وتأمل  
 في مسيرة حياته . ومن هذا اللون تلك القصيدة التي أنشأها بعد أن بلغ  
 الخمسين من عمره ، وصفاً قاله فيها :

تطلع للخمسين حتى إذا بسدت

مائلها وانجساب عنها حجابها

غدا متعبا والعيش يزهر مثلها  
 غدا ناصلا من ذات شفر خضابها  
 وقد كان يرجو بعد حسين حبة  
 قرارا لنفس قد أجد عذابها  
 ويأمل من بعد التطلوع راحة  
 ألا أين ؟ لا أين استقر ركايبها  
 ألا ريسا حيم الفتى شؤم خطه  
 فأنى توقىها وكيف احتلابها ؟  
 اخسبون عاما قد طويت كأنها  
 منام توشيه الرؤى وكذابها  
 وقد برمت نفسى علائل عيشها  
 فكيف وقد وثت وأقبل صابها !!

وإذا كان الشاعران محمد حسن فتحي وحسين سرحان قد عاشا قرى  
 أثار التقاليد الشعرية للادب العربي المريق حين صاغوا تجاربها ، فإن  
 عددا آخر من الشعراء قد جربوا الاشتكال الشعرية الجديدة ، وانغذوا  
 الشعر وسيلة للتعبير عن مواقفهم ازاء الاحداث السياسية والاجتماعية  
 المعاصرة . فقد شغف الشاعران حسن عبدالله القرشي وغازي القصيبي  
 بالشعر الحر ووجداء أداة طيعة مرنة استخدموها في ابداع شعرهما الذي  
 هالجا في معظمه القضايا الوطنية .

ولم يكتف الشاعر محمد العامر الرميح بالتجديد في الشكل ولكنه  
 أراد أن يجدد في المضمون كذلك . فأنى شعره مزيجا من الصور الرمزية  
 والخواطر السريالية (١٢) . وإذا كانت تجربة الرميح قد ظلت غامضة  
 كغموض الرموز الاشتورية التي استخدمها ، فإن تجربة الشاعر ناصب  
 بوحيمد كانت أكثر وضوحا وتوفيقا . فلقد استخدم هذا الشاعر شيئا من  
 الرمز الصوفي ، ولكن كان في عبارته الرشيقه المتجعة ، وموسيقاه الشعرية  
 المبدية . من الروثق والهاء . ومثال ذلك قصيدته « أفاق » التي قال  
 فيها :



ضالقت بنا الآفاق  
يا أيها المعلق  
في عالم ليس به  
حب ولا اشتواق  
الناس فيه صور  
ميتة الاحداق  
ليس على دموعهم  
بشر ولا اشتواق  
سأت الوجود فيها  
وجئت الاحصاق  
لؤاذي المناق  
ضال به الحسن  
لم يبق عندي أمل  
لم يظوه الناس

يا أيها المعلق  
قد ضحك الرمي  
الناس حول جثث  
لموتها عرس  
اعبر بنا الآفاق  
قد ضالقت النفس  
أخاف أن يغفلت مني  
الهد والأس  
دوتك هذا معبرا  
تضيئه الشمس  
فلننتقل على دروبه  
ولا نقسو  
فالناس فيه عالم  
يرعشه الهس

### (١٣)

ولقد تعددت بعد ذلك تجارب شعراء المملكة الناشئين ، فجربوا  
مختلف الاشكال الشعرية الجديدة ، وجابوا كثيرا من الافاق الشعرية الحديثة  
ولكن بعض هذه المحاولات كانت شبيهة بتلك التجارب التي قام بها نفر  
من الشعراء المعاصرين في البلاد العربية الاخرى من حيث أنها ظلت غريبة  
عن الذوق العربي العام ، يلتها القموض ، وتختلط فيها الرؤى ، ويصعب  
أحيانا على الناقد أن يميز أصيلها مما هو مجرد تقليد للاثار الشعرية  
العالمية المعاصرة .

وبهما يكن الامر فان أولئك الشعراء الذين وادعوا بين الرؤية  
الشعرية الجديدة والتقاليد العربية المريقة مثل محمد حسن فقي وحسين  
سرحان وناصر بوحبيد ولهازي القصيسي كانوا أكثر توفيقا من حيث  
وضوح التجربة الشعرية والقدرة على التفاعل مع قارئ الشعر العربي  
الذي تأمره المباشرة الشعرية الرشيدة ، وتغلب له الرؤية الشعرية  
الواضحة .



وتبين من هذه الدراسة الموجزة أن حركة الادب الحديث في المملكة العربية السعودية قد بدأت متأخرة نوعاً ما عما يمثلها من حركات في بعض البلدان العربية الاخرى كمصر والعراق وبلاد الشام . إذ ارتبطت نشأة الادب السعودي الحديث بتوحيد المملكة السعودية في أوائل الثلاثينات من هذا القرن .

وإذا كان الادباء السعوديون لم يصلوا بعد في مجال الفنون النثرية الحديثة كالقصة والمسرحية الى مستوى فنى يضاهى ذلك المستوى الذى بلغه اعلام الرواية والمسرحية في بعض البيئات العربية الاخرى . فانهم قد حققوا في ميدان الفنون العربية الاصيلة كالشعر والمقال قدراً طيباً من الابداع الفنى والاصالة الفكرية .

وعندما يتأمل القارئ في مسيرة الادب الحديث بهذه البلاد ، يجد أنها قد اتسمت بالتطور الدائب والتقدم المستمر . فقد استطاع الادباء أن يحولوا هذا الادب عن وجهته التقليدية ، وأن يصيغوه بصيغة التجديد ، بحيث أصبح قادراً على مواكبة تلك النظريات النقدية الحديثة التى تدعو الى الاصالة الادبية والابداع الفنى . وقد وفق الادباء السعوديون في أن ينتجوا انتاجاً ادبياً قيماً ، وأن يسهموا في حركة الادب العربي الحديث بأثار ادبية اتسمت بظاهمهم وعبرت عن شخصيتهم .

د. محمد عبد الرحمن الشامخ

## المصادر والهوامش

١ - انظر مقدمة ديوانه المخطوط ، روح الشعر العربي ، السدي  
 ألفه عام ١٩٣٤ ويوجد في مكتبة مكة المكرمة بمكة بدون رقم ، وانظر  
 كذلك كتابه ، خواطر مصرحة ، الذي نشرته المكتبة الحجازية بمكة سنة  
 ١٩٢٦ ، وانظر بحث الدكتور منصور الحازمي ، معالم التجديد في الادب  
 السعودي بين الحريين العالميتين ، مجلة الدارة ، السنة الاولى ، العدد  
 الثاني يونيه ١٩٧٥ ، ص ١٠ - ٢٥ .

٢ - انظر كتاب ، ادب الحجاز أو صفة فكرية من أدب الناشئة  
 الحجازية شعرا ونثرا ، جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ونشرته المكتبة  
 الحجازية بمكة سنة ١٩٢٦ ، وانظر كذلك كتاب ، المعرض أو أرواح شبان  
 الحجاز في اللغة العربية ، جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ، المطبعة  
 العربية بمصر ١٩٢٦ .

٣ - انظر على سبيل المثال العدد ٨١ ( ١ - ١١ - ١٩٢٣ ) من  
 جريدة صوت الحجاز وما تلاه من أعداد حيث نقد محمد حسن عواد قصة  
 قصيرة نشرها عبد القدوس الانصاري في هذه الجريدة ، وانظر كذلك  
 ما قاله محرر جريدة صوت الحجاز عن المارك النقدية في العدد ٩٦  
 ( ١٩ - ٢ - ١٩٣٤ ) .

٤ - انظر مثلا مقالته ، بين الجمال والنقد ، جريدة صوت الحجاز  
 عدد ٤٤٩ ( ٢٥ - ٧ - ١٩٤٠ ) وعدد ٤٥٠ ( ٢٨ - ٢ - ١٩٤٠ ) .

٥ - انظر على سبيل المثال مقالته ، صلة الادب بالحياة ، جريدة  
 صوت الحجاز ، عدد ١٨١ في ٥ - ١١ - ١٩٣٥ .

٦ - يوجد المزيد من التفصيل حول هذا الموضوع في بحث الدكتور  
 منصور الحازمي ، الرواية في الادب السعودي الحديث ، مجلة كلية  
 الاداب بجامعة الرياض ، المجلد الثالث ١٩٧٤ .

٧ - انظر عبد الرحيم ابو بكر ، الشعر الحديث في الحجاز ، ص ٨٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٧٧ .

٨ - انظر علي سجيل المثال قصيدته ، مطبعة ، التي نشرت في كتاب ، الشعراء الثلاثة في الحجاز ، جمع وترتيب عبد السلام طاهر الساسي ، ص ٥٠ - ٥٤ - مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .  
٩ - انظر مثلاً قصيدته ، زفرات ، في ديوانه ، قدر ورجل ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ، الدار السعودية للنشر ، جدة ١٩٦٧ .

١٠ - المصدر السابق ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

١١ - ديوان « أجنحة بلا ريش » ، ص ١٣٥ ، بيروت ، بدون تاريخ

١٢ - انظر ديوانه « جدران الصمت - شعر رمزي » منشورات مجلة بيروت ١٩٧٤ .

١٣ - ديوان « قلق » ، ص ٨٧ - ٩٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت بدون تاريخ .